الغيرة الممدوحة والغيرة المذمومة

بين الأزواج والضرائر والأقران في ضوء الكتاب والسنة

د. حصه أحمد الغزال

المدرس بقسم التفسير والحديث

كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

تمهيد

خلق الله بني آدم على بعض الطباع والغرائز والشهوات والانفعالات التي تحتاج إلى تقويم، وأمرهم في كافة الشرائع، وعلى مستوى العقول والأعراف أن يهذبوها ويكبحوا جماحها ويعالجوها.

استمع معي إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّه لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (١) ﴿خَلَقَ الإنسَانَ من نُّطْفَة فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (٢) ﴿وَيَدْعُ الإنسَانُ بالشَّر دُعَاءَه بالخَيْر وكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً﴾ (٣) ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إلى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإنسَانُ كَفُوراً﴾ (٤) ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَان أَعْرَضَ وَنَأَى بجَانبه وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُساً﴾ (٥) ﴿قُل لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلكُونَ خَزَائنَ رَحْمَة رَبِّي إذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنفَاق وكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً﴾ (٦) ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا في هَذَا القُرْآن للنَّاس من كُلِّ مَثَل وكَانَ الإنسَانُ أَكْثَرَ شَيء جَدَلاً﴾ (٧) ﴿خُلقَ الإنسَانُ منْ عَجَل سَأُوْريكُمْ آيَاتي فَلا تَسْتَعْجلُونَ﴾ (٨) ﴿إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَات وَالأَرْض وَالجبَالَ فَأَبَيْنَ أَن يَحْملنَهَا وَأَشْفَقْنَ منهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ (٩) ﴿وَإنَّا إذَا أَذَقْنَا

---

(١) سورة إبراهيم: رقمها ١٤: الآية ٣٤

(٢) سورة النحل: رقمها ١٦: الآية ٤

(٣) سورة الإسراء: رقمها ١٧: الآية ١١

(٤) سورة الإسراء: رقمها ١٧: الآية ٦٧

(٥) سورة الإسراء: رقمها ١٧: الآية ٨٣

(٦) سورة الإسراء: رقمها ١٧: الآية ١٠٠

(٧) سورة الكهف: رقمها ١٨: الآية ٥٤

(٨) سورة الأنبياء: رقمها ٢١ : الآية ٣٧

(٩) سورة الأحزاب: رقمها ٣٣ : الآية ٧٢

الإنسَانَ منّا رَحْمَةً فَرِحَ بهَا﴾⁽¹⁾ ﴿إنّ الإنسَانَ خُلقَ هَلُوعاً* إذا مَسّهُ الشّرّ جَزُوعاً* وإذَا مَسّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً﴾⁽٢⁾ ﴿أيَحْسَبُ الإنسَانُ أنْ يُتْرَكَ سُدى﴾⁽٣⁾ ﴿قُتلَ الإنسَانُ مَا أكفَرَهُ﴾⁽٤⁾ ﴿يَاأيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرّكَ بربّكَ الكَريم﴾⁽٥⁾ ﴿وتَأكُلُونَ التُّرَاثَ أكْلاً لَمّاً* وتُحبُّونَ المَالَ حُبّاً جَمّاً﴾⁽٦⁾ ﴿كَلاّ إنّ الإنسَانَ لَيَطْغَى* أنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾⁽٧⁾ .

نجد في هذه الآيات طبيعة الظلم وكفران النعم، والمخاصمة، واللجاج والمجادلة، والطمع والجزع والقنوط واليأس عند الشدة، والتكبر والطغيان عند الغنى ، والبخل والشح على الغير ، والتسرع والعجلة في الأمور وضعف الحكمة والتأني والتروي ، والجهل بعواقب الأمور، وحب المال والشهوات حباً كثيراً.

وهذا هو الفرق بين طبيعة الإنسان وطبيعة الملائكة، فقد خلت طبيعتهم من كل هذه المعوجات، فلم تكن أمام عباداتهم عوائق أو عقبات، ولم يكونوا في حاجة إلى مقاومة المعاصي، ولم يكن في مواجهتهم إبليس وجنوده، مستغلاً نقطة الضعف يثيرها ويهيجها ويدفع الآدميين إلى الانغماس فيها، والترقي في ارتكابها، فكانت الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون، وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

لقد أراد الله لابن آدم أن يقوم ما اعوج منه ليثاب، وأن يعدل ما انحرف من طبعه ليوافق شرعه فيؤجر، وأن يقاوم النفس الشريرة والهوى والشهوات وإبليس وجنوده، ليسمو بروحه نحو الملأ الأعلى، ويعلو بطاعته على طاعة الملائكة فيكون

---

(١) سورة الشورى: رقمها ٤٢ : الآية ٤٨

(٢) سورة المعارج: رقمها ٧٠ : الآيات ١٩-٢١

(٣) سورة القيامة: رقمها٧٥ : الآية ٣٦

(٤) سورة عَبَسَ : رقمها ٨٠ : الآية ١٧

(٥) سورة الانفطار : رقمها ٨٢ : الآية ٦

(٦) سورة الفجر: رقمها ٨٩ : الآية ١٩ ، ٢٠

(٧) سورة العلق : رقمها ٩٦: الآية ٦ ، ٧

جديراً بسجود الملائكة لأبيه آدم.

إن من هذه الطباع البشرية التي تنحرف بابن آدم، وتحتاج إلى تقويم «الغيرة»(١) موضع بحثنا، وهي:

انفعال غضب، وثورة نفسية عند الإحساس بالانتقاص، فهي كالأثر لغريزة حب الذات والأنانية وحب السيطرة وحب التملك، أو هي أثر للحرص على ما يملكه الشخص أو يخصه، مستقلاً، أو مشتركاً، فبدايتها إحساس بانتقاص، يليه تغير القلب، وهيجان الغضب، يليه اندفاع نحو استرداد الحق المغتصب من وجهة نظر الغيور، وقد لا يكون حقاً له في الواقع ونفس الأمر(٢).

ويعرفها الإمام الغزالي(٣) بقوله: «الغيرة مشتقة من تغير القلب، وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وقيل الغيرة في الأصل الحمية والأنفة وهو تفسير يلازم التغير، فيرجع إلى الغضب».

والغيرة تولد مع الطفل منذ يولد وتظهر فيه منذ يدرك، فهو إذا رأى أمه تلاعب طفلاً آخر ثار وبكى، ولو ولد له أخ وهو في السنة الثانية، فرأى أمه تعتني بالجديد انقبض ومرض، يحس بالذي جاء يشاركه حنان أمه واهتمامها، بشعور

---

(١) **الغيرة: بفتح الغين، مصدر من قولك: غار الرجل على أهله: وغار الرجل على امرأته، والمرأة على بعلها تغار غَيْرة وغَيْراً وغاراً وغياراً ورجل غيران، والجمع غيارى وغُيارى وغيور، والجمع غُيُرٌ. قال الجوهري: امرأة غيور ونسوة غُيُر، وامرأة غَيْرى، ونسوة غَيارى.**
- انظر: لسان العرب: لابن منظور (٤/١٠٣٦)

(٢) **- مشكلات الأطفال اليومية-كتاب في أصول الصحة العقلية- للدكتور دجلاس توم ص١٥٦، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٦ بتصرف.**
- مشكلات الأبناء وعلاجها من الجنين إلى المراهق: د. محمد عبدالظاهر الطيِّب، ص٤٤.

(٣) **- إحياء علوم الدين: (٣/ ٢٤٧، ٢٤٨)**
- وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: كتاب النكاح - باب الغيرة (٩/ ٣٢٠)

ووجدان ولد معه، كشعور الحاجة إلى الطعام والشراب، ويصاحبه هذا الشعور، وينمو بنموه، فتراه يغار ويثور حين يرى طفلاً آخر يعتدى على لعبه أو حين يمس أحد ممتلكاته ومختصاته ويظل يصاحبه طيلة حياته(١).

والإنسان يعيش في مجتمع يتعامل مع بني جنسه، منهم الأعلى منه قدراً في الدنيا أو الدين، ينظر إليهم، ويقارن حاله بحالهم في جميع نواحي الحياة، في المال والصحة والأولاد والزوجات والغنى ومظاهر العز والرفاهية، من الملابس والمساكن والسيارات وغيرها، وفي ضروب السعادة الأخرى، من المناصب والجاه وكثرة الأصحاب والأتباع، وطلاقة اللسان وحسن الخلق والسخاء والبلاغة والثقافة والعبادة وجميع مظاهر الحياة، يقارن الإنسان بين حاله، وبين حال من يلقاه، فيغار ممن فوقه في كل ذلك، يود أن يحصل له ما عند غيره، أو أن يزول ما عند غيره ليكون مثله بل ينظر إلى ما هو أقل منه عند غيره، ويستكثر عليه، وإن كان لا يرتضيه لنفسه فيتمنى زواله عنه.

حقيقة الغيرة تدخل في كل شيء في حياتنا، كنتيجة لحب الذات وحب السيطرة الذي يجري في دمائنا، لكنني في بحثي هذا سأقتصر على غيرة الزوج على زوجته، وغيرة الزوجة على زوجها، وغيرة الضرة من ضرتها، وغيرة القرين من قرينه، لأن هذه الأنواع من الغيرة أبرز وأكثر ما يقع بين بني البشر، وفي علاجها علاج لما عداها وسأتعرض لأنواع أخرى من الغيرة باختصار.

سأحاول عرض مظاهرها وواقعها والمتطرف منها، وأرسم المنهج شرعاً لمسالكها ثم أصف علاج انحرافها في ضوء الكتاب والسنة وعلى الله قصد السبيل.

---

(١) - مشكلات الأطفال اليومية - للدكتور دجلاس توم ص١٥٨ -١٦٠
- مشكلات الأبناء وعلاجها من الجنين إلى المراهق: د. محمد عبدالظاهر الطيِّب ص٤٤

١ - غيرة الزوج على زوجته :

الزوجة أغلى وأثمن ما يخص الزوج ، ففي الحديث الشريف (خير ما يكنز المرء المرأة الصالحة)(١) والمرأة عند العرب ، قبل الإسلام وبعده ، جوهرة جديرة بالحفظ والصون والحماية ، حتى وصل الحرص عليها أن كان دافعاً إلى قتلها ووأدها ، نعم كان أساس وأد البنات عند العرب أن خرجت امرأة أو فتاة عن أهلها ، وانسلخت عن ذويها فكان قتلها علاجاً لضياعها ، وعلامة على الحفاظ عليها ، على حد قول الشاعر :

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فإنّ اللوْمَ إغْراءُ   وَداوني بالتي كانت هيَ الدَّاءُ(٢)

وقد يقتل الزوج المحب زوجته لئلاً تكون لأحد غيره من بعده ، وقد تقوم الحرب بين قبيلتين من أجل حماية امرأة .

وفي الإسلام ظلت المرأة جوهرة ، حماها الإسلام حتى من نظرة الرجل الأجنبي «فأمر الرجال بأن يغضوا أبصارهم عنها ، وأمر النساء بأن لا يبدين زينتهن إلا لأزواجهن أو محارمهن»(٣) .

---

(١) - أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الزكاة -٣٢: باب في حقوق المال ج٢رقم١٦٦٤ ص٣٠٦ (عن ابن عباس).
- وأخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الرضاع- باب استحباب نكاح البكر (٥٦/١٠) (عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: الدُّنْيا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتاع الدنيا المرْأةُ الصَّالِحَةُ) بنفس اللفظ.
- أخرجه النسائي في سننه: كتاب النكاح -المرأة الصالحة (٦٩/٦).
- وأخرجه البيهقي في: السنن الكبرى: كتاب النكاح: باب استحباب التزوج بذات الدين (٨٠/٧).

(٢) ديوان أبي نواس: قافية الهمزة - ص٧.

(٣) تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:(٤٨٥/١٠ ، ٤٨٧) ط. الأولى.

فكانت غيرة الزوج على زوجته حقاً له شرعاً، كما أنها طبيعة تجري في دمه خلقة وعادة.

لكن الفضيلة دائماً وسط بين طرفين، فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والسخاء والكرم وسط بين البخل وبين الإسراف، والغيرة التي هي فضيلة وسط بين بلادة الطبع، وقلة الأنفة وبين حمية الجاهلية.

وكان الصحابة في غيرتهم على نسائهم درجات، غيورين بدرجة عليا، ومعتدلين.

فمن الغيورين من الدرجة العليا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان يحجب نساءه، حتى بعد أن أمر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أصحابه أن يأذنوا للنساء بالخروج إلى المساجد إذا استأذن أزواجهن كان عمر يتمنى أن لا تستأذن أمرأته في الخروج، لئلا يقوم بتنفيذ الأمر كارهاً، وورثه في ذلك ابن ابنه بلال بن عبدالله بن عمر إذ سمع أباه يحدث عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أنه قال: (لا تَمْنَعُوا نساءَكُم المسَاجدَ إذا اسْتَأْذَنَّكُمْ إليها. فقال بلالُ بنُ عبدالله: واللَّه لَنَمْنَعهُنَّ) وفي رواية: (لاندَعُهُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَّخِذْنَهُ دَغَلاً(١))(٢)

ولم تقتصر غيرة عمر -رضي الله عنه- على نسائه، بل كان يغار على نساء رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، حتى طلب وألح على رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أن يحجب نساءه.

- وانظر في ظلال القرآن: سيد قطب (٤/ ٢٥١٠، ٢٥١١) ط. العاشرة.
- ومختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني. م٢- ص٥٩٨، ٦٠٠- ط. الرابعة.

(١) هو الفساد والخداع والريبة.
- شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ١٦٢)

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة - باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبة (٤/ ١٦١).

فقد روى مسلم (١) وأحمد(٢) : «عن عائشة رضي الله عنها قالت : أن أزواج رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كن يخرجن بالليل إذا تَبَرَّزْنَ إلى المناصِعِ وهو صعيد أفيُح، وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» : «احجب نساءك، فلم يكن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي «صلى الله عليه وسلم» ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر : ألا قد عرفناك ياسودة حرصاً على أن ينزل الحجاب قالت عائشة فأنزل الله عز وجل الحجاب» .

واشتهر عمر رضي الله عنه بارتفاع درجة غيرته حتى حدث رسول الله «صلى الله عليه وسلم» برؤيا رآها فقال : «بينا أنا نائمٌ رَأَيتُني في الجَنَّة، فإذا امرأةٌ تَتَوَضَأُ إلى جانب قَصْر، فَقُلْتُ : لمَنْ هذا القَصْرُ قالوا : لعُمَرَ. فَذَكَرتُ غَيْرَتَهُ، فوَلَّيتُ مُدْبراً، فبكَى(٣)، وقالَ : أَعلَيْكَ أغارُ يارسول اللَّه»(٤)

واشتهر بين الصحابة بشدة الغيرة سعد بن عبادة، سيد الخزرج، وأحد نقبائهم.

فقد روى أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿وَالَّذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾(٥).

(قالَ سَعْدُ بنُ عُبادةَ لو رأيتُ رَجُلاً معَ امرأتي لَضَرَبْتُهُ بالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ

---

(١) في صحيحه : كتاب السلام - باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان (١٤/١٥٢).

(٢) في مسنده (٦/ ٢٢٣).

(٣) عمر.

(٤) - أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب - باب مناقب عمر بن الخطاب (٥/ ١٢)
- أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح -باب الغَيْرة (٧/ ٤٧) «عن أبي هريرة».

(٥) سورة النور رقمها ٢٤: الآية ٤

فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، لأنا أغيرُ مِنْه واللهُ أغيرُ مِني)(١)

وقد وقع من بعض الصحابة ما هو أشد من ذلك غيرة، فقد روى مسلم(٢) «عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: كان فتى منا حديثُ عَهْدٍ بعُرْسٍ، قال: فخرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذنُ رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، بأنصاف النهار، فيرجع إلى أهله، فاستأذَنه يوماً فقال له رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: خُذْ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قُرَيْظة، فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها الرمح ليطعنها به، وأصابته غَيْرَة، فقالت له: أكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتي تنظر ما الذي أخرجني فدخل، فإذا بحيةٍ عظيمةٍ منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به).

فهذا الفتى قد أخذته الغيرة، واشتعلت ناره، وَهَمَّ بقتل زوجته وطعنها بالرمح، لمجرد أنها خرجت من حجرة النوم - أو كما يقال: من دائرة الحريم - ولم تخرج من الدار، بل وقفت بين باب الحريم وبين باب الدار، في فناء الدار وساحتها، خوفاً من الثعبان الكبير الذي شاهدته على فراشها.

٢ - غيرة الزوجة على زوجها:

والزوجة تحرص على أن يكون زوجها لها وحدها. كحرصه على أن تكون له وحده، بل قد تزيد، مع أنها تعلم أن من حقه أن يشرك في نفسه ثلاثاً معها، وتعلم أن له أباً وأماً لهما عليه من الحقوق مثل مالها أو يزيد، وقد تعلم أن له أولاداً من غيرها، لهم فيه أكثر مما لها، لكنها قد يدفعها هذا الحرص إلى أن توقع بينه وبين أبيه

---

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح - باب الغَيْرَة (٧/ ٤٥) «عن المغيرة».
- وانظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني(٩/ ٣٢١)

(٢) في صحيحه: كتاب قتل الحيات، وغيرها (١٤/ ٢٣٤-٢٣٥)

وأمه فيعق والديه، ويدفعها هذا الحرص أن تقطع صلته بإخوته، وأن يسيء معاملة أبنائه، إن كان له من غيرها أبناء، وهذه الغيرة بلغت من الكثرة والشهرة في عصرنا ما جعلها ظاهرة شائعة عامة، لا يشذ عنها إلا القليل، ربما لأن الزوج أغلى ما تحوز المرأة . . وربما لأنها تنال منه وينال منها ما لا تناله من غيره، ولا يناله من غيرها، وربما لأنه كثيراً ما يُغذي عواطفها من عبارات الحب ويشبع طبيعتها بالعطف والحنان وربما لأن ما بينهما من رفع الكلفة، وطول الصحبة وعمق التداخل، وقوة التلاصق جعلهما كالجسد الواحد، فكأنها منه، وكأنه منها، ولم لا؟ وحواء في مبدأ خلقها جزء من آدم، وتابعة له، وحياتها كانت -مند بدء الخليقة- مرتبطة بحياته، سكنا الجنة معاً، وأمرا أمراً واحداً ﴿يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(١)

وكان قدرها مرتبطاً بقدره «يأكل من الشجرة وتأكل منها، تبدو سَوْءتها له، وتبدو سوْءته لها»(٢) يتوجه إليهما من ربهما أمر واحد يحدد مصيرهما ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾(٣)

من هذه العلاقة القوية ولد الحب بينهما، ومن هذا الترابط الشديد نشأ حرص كل منهما على الآخر، وفاق حرصها حرصه لضعفها، فصعب عليها التنازل عن شيء من مكاسبها، وعز عليها أن ينتقص شيء من موروثاتها، وهذا النوع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنوع الثالث.

---

(١) سورة البقرة رقمها٢: الآية ٣٥

(٢) تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية (١/ ٢٥٢) ط. الأولى.
- وانظر: مختصر تفسير ابن كثير: اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني (١/ ٥٥) و(٢/ ١١) ط٤.

(٣) سورة البقرة رقمها ٢: الآية ٣٦

٣ - الغيرة بين الضرائر:

وكلما زادت حظوة المرأة عند زوجها زاد ارتباطها به وحبها له، وغيرتها عليه فالغيرة «ترمومتر» الحب كما يقولون، وغيرة أزواج النبي «صلى الله عليه وسلم» أمهات المؤمنين بعضهن من بعض مثل حيّ للغيرة بين الضرائر، فهن نساء من جنس البشر، لهن من الغرائز والعواطف والانفعالات ما للبشر، وأشدهن غيرة كانت عائشة رضي الله عنها، ولم يكن يساميها بين الأزواج أو يقرب منها إلا زينب بنت جحش (التي كانت تعتز بجمالها، وبتزويج الله لها، وبقرابتها من رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، فجدهما واحد من جهة أمها، فهي ابنة عمته)[1] فتزعمت فريقاً من الأزواج وتزعمت عائشة منهن فريقاً، وغاظ فريق زينب أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم ليلة عائشة، فيهدون إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» وهو في بيت عائشة فتقوم عائشة بتوزيع الهدية، وتصبح هي صاحبة الفضل في العطاء فكانت زينب ترفض الهدية الواردة من بيت عائشة أحياناً، وتقبلها على مضض أحياناً، وأثارت على هذا الوضع بقية فريقها، فاجتمعن يوماً وقررن أن يرسلن إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» يطلبن منه أن يطلب من الصحابة أن يهدوا إليه في بيوته الأخرى ولا يتحروا بهداياهم بيت عائشة، اخترن لهذه المهمة فاطمة بنت النبي «صلى الله عليه وسلم». وكانت تميل إلى حزبهن. لحديث السيدة عائشة زوج النبي «صلى الله عليه وسلم»، قالت: (أرسل أزواج النبي «صلى الله عليه وسلم» فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إلى رسول الله «صلى الله عليه سلم» فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرْطي فأذن لها فقالت: يارسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل فَي ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة قالت: فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: أي بُنَيَّةُ ألست تُحبِّينَ ما أحب فقالت بلى قال فأحبِّي هذه قالت فقامت فاطمة حين سمعت ذلك مَن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فَرَجعت إلى أزواج النبي «صلى الله عليه وسلم» فأخبرتْهُنَّ بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله «صلى الله عليه

---

[1] انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (م ٨ ص١٠١) بتصرف.

وسلم» ، فقلن لها ما نُراك أغْنَيْت عنّا من شيء فارجعي إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقولي له إن أَزواجكَ يَنْشُدْنَكَ العَدْلَ في ابْنَة أبي قحافة فقالت فاطمة والله لا أكلمه فيها أبداً ، قالت عائشة فأرسل أزواج النبيَ «صلى الله عليه وسلم» زينب بنت جحش زَوْجَ النبي «صلى الله عليه وسلم» وهي التي كانت تُساميني(١) منهن في المنزلة عند رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ، ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرَّبُ به إلى الله تعالى ما عدا سَوْرَةً(٢) من حدَّة (٣) كانت فيها تُسرع منها الفيئة(٤) قالت : فاستأذنت على رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ورسول الله «صلى الله عليه وسلم» مع عائشة في مرْطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها فَأَذنَ لها رسول الله «صلى اللهَ عليه وسلم» فقالت يارسول الله إن أزواجك أرسلننيَ إليك يسألنك العَدْلَ في ابنة أبي قحافة قالت ثم وقعت بي فاستطالت عليَّ وأنا أرقب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأرقب طَرْفَهُ هل يأذن لي فيها قالت فلم تبرح زينب حتى عَرَفْتُ أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «لا يكره أن أنتصر»(٥) ولعائشة -رضي الله عنها- أحداث كثيرة ، تنبيء عن شدة غيرتها ، نذكر منها :

ما أخرجه البخاري (٦) ومسلم (٧) وأحمد (٨) ، عنها -رضي الله عنها-

---

(١) أي تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة مأخوذ من السمو وهو الارتفاع.

(٢) السورة: الثوران وعجلة الغضب.

(٣) الحدة: فهي شدة الخلق وثورانه.
- ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلا أنها فيها شدة خلق وسرعة غضب تسرع منها.

(٤) الفيئة: هي الرجوع أي إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعاً ولا تصر عليه.
- شرح النووي على صحيح مسلم - ج١٥ ، ص٢٠٦

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة / فضل عائشة رضي الله عنها- ج١٥ ص٢٠٥-٢٠٧.

(٦) في صحيحه: كتاب الطلاق / باب لم تحرم ما أحل الله لك(٧/ ٥٧)

قالت: كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يُحبّ العَسَلَ والحلواء، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر، فاحتبس أكثر ما كان يحتبس فَغرْتُ فسألتُ عن ذلك فقيل لي: أهْدَتْ لها امرأة من قومها عكة من عسل، فَسَقَتَ النبي «صلى الله عليه وسلم» منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي: أكلت مغافير(١)؟ فإنه سيقول لك لا فقولي له ما هذه الريح التي أجد منك فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرست نحله العُرْفُط(٢) وسأقول ذلك، وقولي أنت ياصفية ذاك قالت تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أباديه بما أمرتني به فرقاً منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يارسول الله أكلت مغافير؟ قال: لا قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل، فقالت: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ، فلما دار إلي قلت له نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت: يارسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة: والله لقد حَرَمْنَاهُ، قلت لها: اسكتي) فنزل قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٣)

---

(٧) في صحيحه: كتاب الطلاق/ باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (١٠/ ٧٥)

(٨) في مسنده: (٦/ ٢٢١).
- وانظر تفسير ابن عطيه (١٤/ ٥١٢) الطبعة الأولى. ومختصر تفسير ابن كثير (م٣/ ٥٢٠)

(١) هو صمغ حلو له رائحة كريهة، ينضحه شجر يقال له العرفط. وقيل إن العرفط نبات له ورقة عريضة تفترش على الأرض له شوكة حجناء وثمرة بيضاء كالقطن. يلحسه النحل، ويأكل منه ليحصل منه العسل.

(٢) أي أكلت العرفط ليصير منه العسل.
- شرح النووي على صحيح مسلم - (١٠/ ٧٥، ٧٦).
- وانظر عمدة القاريء شرح صحيح البخاري/ بدر الدين محمود بن أحمد العيني (م٥-ج٢٠) ص٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥.

(٣) سورة التحريم، رقمها ٦٦: الآية ١

نعم . . . كانت عائشة أكثر نساء النبي «صلى الله عليه وسلم» ، غيرة عليه ، لأنها -بحق- كانت أحب نسائه إليه .

(قيل له يارسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال : عائشة ، قيل : من الرجال؟ قال : أبوها)(١) .

وما وصلت عائشة إلى هذه الدرجة من حب زوجها لها إلا ببذلها الكثير من العطف والحنان ، فالتغاير بين الضرائر لا يكون بالادعاء ، ولا بالمهاترات ، ولا بالفحش والتفحش ، بل بمؤهلات وإخلاص وعطاء .

لقد استطاعت عائشة أن تظفر بالمقام الأول من حبه «صلى الله عليه وسلم» ، دون ثمان نسوة ، وأن تسكن سويداء قلبه «صلى الله عليه وسلم» وحولها الشابات الجميلات .

ولقد استخدمت كثيراً من أساليب التغاير بين الأزواج فشحنت مشاعر النبي «صلى الله عليه وسلم» بحبها ودلالها ، وربما كان ذلك لصغر سنها ، مما يمكنها من المداعبات التي تليق بها ، كانت تغسل له رأسه ، وتسرح له شعره ، وتطيبه بيدها ، وتضمه لصدرها ، وتعدّ له سواكه ، وماء وضوئه ، وتخبيء له أطيب طعام .

روى البخاري(٢) (عن عائشة قالت : كُنْتُ أُرَجِّلُ(٣) رأس رسول الله «صلى

---

(١) أخرجه الترمذي/ كتاب المناقب/ باب فضل عائشة رضي الله عنها(٥/ ٣٦٤) حديث رقم(٣٩٧٢) (عن عمرو بن العاص)- وقال : هذا حديث حسن صحيح .
- وانظر : الطبقات الكبرى / لابن سعد (٨/ ٦٧) .

(٢) في صحيحه : كتاب الحيض : باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله(١/ ٨١ - ٨٢) .
- في صحيحه : كتاب الاعتكاف : باب الحائض ترجل المعتكف(٣/ ٦٢) .
- في صحيحه : كتاب اللباس : باب ترجيل الحائض زوجها (٧/ ٢١١) .

(٣) (اي أسرّحُ - أمشّط شعر) مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ص٢٣٦ .

الله عليه وسلم»، وأنا حائض).

وعنها (وكان يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله وأنا حائض)(١)

(وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي «صلى الله عليه وسلم» قالت: كنت أُطَيِّبُ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لإحرامه حين يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت)(٢).

وعنها قالت: (كنت أطيب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عند الإحرام بأطيب ما أجد)(٣).

كانت إذا نام عندها تتلمسه في النوم من لحظة إلى أخرى، فإذا لم تجده بجوارها فزعت، تغتسل هي وهو من إناء واحد صغير يغترفان منه فتسابقه في اغتراف الماء لنفسها لقولها: (كنت أغتسل أنا ورسول الله «صلى الله عليه وسلم» من إناء واحد يبادرني وأبادره حتى يقول دعي لي وأقول أنا دَعْ لي قال سُوَيْدٌ يبادرني(٤) وأبادره فأقول دَعْ لي دَعْ لي)(٥).

ويقوم يصلي على حصير فتنام أمامه، معترضة بين يديه، حتى إذا أراد أن

---

(١) اخرجه البخاري: في صحيحه: كتاب الاعتكاف - باب غسل المعتكف (٣/ ٦٣).

(٢) اخرجه البخاري: في صحيحه: كتاب الحج: باب الطيب عند الإحرام وما يلبس إذا أراد أن يحرم ويترجل ويدهن: (٢/ ١٦٨)
- واخرجه أحمد: في المسند (٦/ ١٨١ ، ١٨٦).

(٣) اخرجه أحمد: في المسند (٦/ ٢٠٩).

(٤) فيه دليل على أن كل واحد منهما يريد أن يسبق على صاحبه.
- حاشية الإمام السندي: بهامش سنن النسائي (١/ ١٣٠).

(٥) اخرجه النسائي: في سننه: كتاب الطهارة: باب الرخصة في ذلك (١/ ١٣٠).
- أخرجه النسائي: في سننه: كتاب الغسل والتيمم: باب الرخصة في ذلك (١/ ٢٠٢).
وأخرجه أحمد في المسند /ج٦ ص١٠٣، ١١٨، ١٢٣, ١٧١-١٧٢

يسسجد لم يجد مكاناً، إلا أن يغمزها في رجليها ، فتضمهما ليسجد ، ثم تعود لقولها : (كنت أنام بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ورِجْلايَ في قِبْلَتِه فإذا سجد غمزني فَقَبَضْتُ رِجْلي فإذا قام بَسَطْتُهْما)(١) .

كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «يتناسى معها أنه ابن خمس وخمسين، وأنه إمام ورسول المسلمين، وكان يعيش معها كزوج بشر، يعيش ويتعامل مع انثى من البشر، يرفع فوارق العمر، وفوارق المكانة، وفوارق الثقافة، وفوارق القوة، حتى فوارق العقل، فنراه يسابقها الجري فيسبقها أو تسبقه، وهو ابن سبع وخمسين وهي ابنة اثنتي عشرة سنة فعنها رضي الله عنها قالت : (خرجت مع النبي «صلى الله عليه وسلم» في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال للناس تقدموا تقدموا ثم قال لي تعالي حتى اسابقك فسابقته فسبقته فسكت عني حتى إذا حلت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك)(٢) .

كانت عائشة تفعل ذلك بحضرة صويحباتها إغاظة لهن ومغايرة، بل كانت أحياناً تبين عن هدفها بنفسها، فبعد أن وقفت على كتفه، تضع خدها على خده تنظر إلى لعب الحبشة في العيد، يقول لها : شبعت فتقول : لا تعجل، وبعد فترة يقول لها : أما شبعت فتقول لا تعجل، تعترف بنفسها وتقول : (وما بي حب النظر

---

(١) أخرجه البخاري: في صحيحه: كتاب الصلاة : باب الصلاة على الفراش (١/ ١٠٧).
- وأخرجه أحمد: في مسنده: (٦/ ٤٤ ، ٥٤ - ٥٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده(٦/ ٣٦٤) واللفظ له.
- وأخرجه ابن ماجه في سننه :كتاب النكاح ٥٠ باب حسن معاشرة النساء ج١ رقم١٩٧٩ ص٦٣٦، في الزوائد : إسناده صحيح على شرط البخاري : بلفظ: (عن عائشة قالت: سابقني النبي «صلى الله عليه وسلم» فَسَبَقْتُهُ) وبنفس اللفظ
- أخرجه أحمد في مسنده(٦/ ١٨٢، ٢٦١)

إليهم ولكنني أحببت أن يبلغ النساء -أي ضرائرها-مقامه لي- ومكاني عنده)(١) أي لتفخر بذلك عليهن. ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي(٢) وأحمد(٣):

(عن عائشة قالت: كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان فقام رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فإذا حبشية تزفن(٤) والصبيان حولها فقال ياعائشة تعالى فانظري فجئت، فوضعت لحيي على منكب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فجعلت انظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه فقال لي: أما شبعت أما شبعت قالت فجعلت أقول لا، لأنظر منزلتي عنده).

مغايرات عملية، تثير في الضرائر انفعالات ثورية متباينة وعنيفة، لكنهن كن عاقلات مقدر ات، ثم هي مع ذلك لا تفتأ تغذي حظوتها عنده، وتعمق اعتزازه بها، دونهن، فتقول له في لحظات ود وانسجام(أرأيت لو نَزَلْتَ وادياً وفيه شجرة قد أُكل منها، ووجدتَ شجراً لم يُؤكل منها، في أيها كنتَ تُرتعُ بَعيركَ؟ قال: في الذي لم يُرْتع منها. تعني أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لم يتزوج بكراً غيرها)(٥) وأنهن كلهن كن قبله عند رجال آخرين.

ومع أن الحب وميل القلب أمر لا يملكه البشر، لكنهم يملكون رعايته وتعهده وتنميته وتعميقه، وقد برعت عائشة في كل ذلك وضربت المثل الأعلى فيه،

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - للمباركفوري: م١٠: ص١٨٠ بتصرف.

(٢) في السنن: أبواب المناقب م٥ - باب رقم ٧١ حديث رقم ٣٧٧٤- ص٢٨٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) في المسند (٥/٥٦ - ٥٧) بلفظ(عن عائشة أن الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في يوم عيد قالت فاطلعت من فوق عاتقه فطاطا لي رسول الله «صلى الله عليه وسلم» منكبيه فجعلت انظر إليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت.

(٤) الزَّفْنُ: الرقص، زَفَنَ يَزْفِنُ زَفْناً، وهو شبيه بالرقص. وأصل الزَّفْن اللعب والدَّفع.
- انظر: لسان العرب: لابن منظور م١٣ : ١٩٧.

(٥) أخرجه البخاري: في صحيحه: كتاب النكاح: باب نكاح الأبكار (٧/٦)

وحصلت على السهم الأوفر من نتيجته وآثاره.

أنواع مغايرة السيدة عائشة:

لقد استخدمت في مغايرتها لضرائرها كل أنواع المغايرة التي تتناسب مع وضعها كأنثى غيور، فقد حاولت أن تثير كثيراً زوجها على إحدى صويحباتها، أذكر من هذا القبيل حادثتين:

الأولى: «أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كان عندها وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة، قالت: فقلت يارسول الله هذا رجل يستأذن في بيتك، فقال النبي «صلى الله عليه وسلم» أراه فلاناً لعَمٍّ حفصة من الرضاعة، قالت عائشة: لو كان فلان حياً لعمها من الرضاعة، دخل عليّ، فقال نعم الرضاعة، تُحرِّم ما تُحرّم الولادة(١)».

الثانية: (قالت عَمْرة: أخبرتني عائشة أنه أهدى لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» هدية في بيتها فأرسل إلى كل امرأة من نسائه بنصيبها، وأرسل إلى زينب بنت جحش فلم ترض ثم زادوها مرة أخرى فلم ترض).

---

(١) أخرجه البخاري: في صحيحه: كتاب النكاح: باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب (٧/ ١١ - ١٢) واللفظ له.

- وانظر ذيل الحديث في سنن أبي داود - كتاب النكاح - باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب (٢/ ٢٢١)رقم (٢٠٥٥)
- وأخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٧٨).
- والحديث: (عن عَمْرَةَ بنت عبدالرحمن(*) أن عائشة زوج النبي «صلى الله عليه وسلم» أخبرتها...)

(*) ابن أسعد بن زرارة بن مالك بن النجار وأمها: سالمة بنت حكيم بن هاشم، تزوجها عبدالرحمن بن حارثة بن مالك فولدت له محمد بن عبدالرحمن وهو أبو الرجال، وروت عمرة عن عائشة وأم سلمة وكانت عالمة.
الطبقات الكبرى: لابن سعد (٨/ ٤٨٠)

وفي رواية: (فردته، فقال: زيدوها ثلاثاً، كل ذلك ترده ، فقالت عائشة) وكأنها تثيره عليها (لقد أقمأت(1) وجهك أن ترد عليك الهدية، فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: لأنتنّ أهون على الله من أن تقمئنني)(2)

بل قد حاولت -رضي الله عنها أن تتخلص من بعض ضرائرها، بطريق غير مباشر، وأن تقلل ممن هن في عصمته «صلى الله عليه وسلم» من بعيد.

يروى البخاري (3) ومسلم (4) عنها -رضي الله عنها- قالت: (لَمّا أمر رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكرٌ لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي، حتى تستأمري أبويك، قالت: قد علمَ أن أبويَّ لمْ يكونا ليأمُراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأزْوَاجِكَ إن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً* وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً

---

(1) يقال: أقمأ فلان الشيء إذا صغّر وأذله. أي ما راعت عِظم شانك.
- المعجم الوسيط: (2/ 757).
- تعليق محمد فؤاد عبدالباقي بهامش سنن أبي ماجه(1/ 664).

(2) أورده ابن سعد في الطبقات الكبرى (8/ 188 ، 190)
- وأخرجه ابن ماجه في السنن: كتاب الطلاق (24) باب الإيلاء:ج1: رقم 2060 - ص664. بلفظ: (عن عائشة أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إنّما آلى، لأن زينب ردت عليه هديته. فقالت عائشة: لقد أقمأتك، فغضب «صلى الله عليه وسلم»، فآلى منهن).
- في الزوائد: في إسناده حارثه بن محمد بن أبي الرجال وقد ضعفه أحمد وابن معين والنسائي وابن عدي وغيرهم.
- وأورده الطحاوي في شرح معاني الآثار: كتاب الكراهية: باب القسم (4/ 271).

(3) في صحيحه: كتاب التفسير: تفسير سورة الأحزاب (6/ 147).

(4) في صحيحه: كتاب الطلاق: باب بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقاً إلا النية. (10/ 78)
والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة :ج4 رقم1516 ص20

عَظيماً﴾(١) قالت: فقلتُ: في أيٍّ هذا أستأمِرُ أبوَيَّ، فإني أريدُ الله ورسوله والدار الآخرة)

وفي رواية لمسلم(٢) أنها قالت: (وأسألُكَ أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال، لا تسألني امرأة منهُنَّ إلا أخبرتها، إنَّ الله لم يبعثني مُعنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً).

وفي رواية للبيهقي(٣) (فقالت له عائشة لا تقل إني اخترتك فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: إنما بعثت مبلغاً ولم أبعث متعنتاً).

قال الحافظ ابن حجر: «في هذا الحديث أن الغيرة تحمل المرأة الكاملة الرأي والعقل على ارتكاب ما لا يليق بحالها، لسؤالها النبي «صلى الله عليه وسلم» أن لا يخبر أحداً من أزواجه بفعلها، ولكنه «صلى الله عليه وسلم» لما علم أن الحامل لها على ذلك ما طبع عليه النساء من الغيرة ومحبة الاستبداد دون ضرائرها، لم يسعفها بما طلبت من ذلك فخير أزواجه، وكان يقول: إن عائشة قالت كذا، فقلن: ونحن نقول مثل ما قالت).(٤)

من نتائج هذه الغيرة:

ولقد كانت الغيرة أحياناً تدفعها إلى تتبع أحوال ضرائرها واستطلاع معاملة الرسول «صلى الله عليه وسلم»، لهن والمشاركة في استخدام أساليب لا تخلو من

---

(١) سورة الأحزاب: رقمها ٣٣: الآية ٢٨، ٢٩.

(٢) في صحيحه: كتاب الطلاق: باب بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (١٠ / ٨١).
- انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي (٥/ ١٩٤)

(٣) في السنن الكبرى: كتاب النكاح: باب ما وجب عليه من تخيير النساء: (٧/ ٣٨).
- أورده االألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٤-رقم١٥١٦- ص٢٠ط ٢

(٤) في فتح الباري (٨/ ٥٢٢).

المخادعة في بعض الأحيان.

يروي البخاري(١) (عن عائشة أن النبي «صلى الله عليه وسلم» كان إذا خرج أقرع بين نسائه فطارت القُرْعَةُ لعائشة وحفصة، وكان النبي «صلى الله عليه وسلم» إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري، وأركب بعيرك؟ تنظرين وأنظر، فقالت: بلى فركبت فجاء النبي «صلى الله عليه وسلم» إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلّم عليها ثم سار حتى نزلوا وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذْخر، وتقول: يارب سلط عليَّ عَقْرَباً أو حيَّة تلدغني، ولا أستطيع أن أقول له شيئاً)

وهكذا نجد عائشة نتيجة للغيرة توافق حفصة طائعة لهدف حب الاستطلاع، ثم لا تلبث أن تعود إليها غيرتها، ماذا دار بين الرسول «صلى الله عليه وسلم» وحفصة على أنها عائشة؟ وحفصة لن تخبر بما دار، لأنها المستفيدة بأصل الكلام ونوعه، وعائشة هي الخاسرة من جميع النواحي.

نعم قد يكون الله قد ألهم نبيه ما وقع، فأمسك عما أراد إيقاعه فيه، لكنه احتمال لا يدفع آلام عائشة وغيرتها، مما جعلها تدعو على نفسها بالهلاك.

بل كانت الغيرة أحياناً تنسيها أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لم يكن ليتجاوزها أو يدع غيرها من النساء فيذهب إلى واحدة في ليلة الأخرى.

روى النسائي(٢): (عن عائشة قالت: فقدت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ذات ليلة، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فَتَجَسَّسْتُه فإذا هو راكع أو ساجد يقول: سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت فقلت: بأبي وأمي إنك لفي شأن وإني لفي شأن آخر).

---

(١) في صحيحه: كتاب النكاح: باب القرعة بين النساء إذا أراد سفراً (٧/ ٤٣).

(٢) في سننه: كتاب عشرة النساء: باب الغيرة (٧/ ٧٢).

ومرة أخرى تقول: (ألا أحدثكم عني وعن النبي «صلى الله عليه وسلم»، قالوا: بلى. قالت: لما كانت ليلتي التي هو عندي -تعني النبي «صلى الله عليه وسلم»- انقلب (١) فوضع نعليه عند رجليه ووضع رداءه وبسط طرف إزاره على فراشه فلم يلبث إلا ريثما ظن أني قد رقدت ثم انتعل رويداً وأخذ رداءه رويداً ثم فتح الباب رويداً وخرج وأجافه(٢) رويداً وجعلتُ درعي في رأسي، واختمرت وتقنعت إزاري فانطلقت في إثره حتى جاء البقيع فرفَع يديه ثلاث مرات، وأطال القيام ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فَهَرْوَلتُ فأحضر فأحضرتُ وَسَبَقْتُهُ فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: مالك ياعائشة حَشْيا(٣) رابيه(٤) قالت: لا قال: لتخبرني أو ليخبرني اللطيف الخبير. قلت: يارسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته الخبر، قال: فأنت السواد الذي رأيته أمامي قالت: نعم. قالت: فَلَهَدني(٥) في صدري لهْدَةً أوْجَعَتْني ثم قال: أظننت أن يحيف(٦) الله عليك ورسوله، قالت: مهما يكتم الناس فقَد علمه الله. قال: نعم. قال: فإن جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك فناداني، فأخفى منك فأجبته فأخفيت منك فظننت أن قد رقَدْت وخشيتُ أن تستوحشي فأمرني أن آتي أهل البقيع فأستغفر لهم)(٧).

---

(١) رجع من صلاة العشاء.

(٢) اي رده.

(٣) أي مرتفع النفس متواترة كما يحصل للمسرع في المشي.

(٤) مرتفعة البطن.

(٥) من اللهد وهو الدفع الشديد في الصدر وهذا كان تأدياً لها من سوء الظن.

(٦) من الحيف: بمعنى الجور اي بأن يدخل الرسول في نوبتك على غيرك. وذكر الله لتعظيم الرسول والدلالة على ان الرسول لا يمكن أن يفعل بدون إذن من الله تعالى ولو كان منه جور لكان بإذن الله تعالى له فيه وهذا غير ممكن وفيه دلالة على أن القسم عليه واجب إذ لا يكون تركه جوراً إلا إذا كان واجباً.
- حاشية الإمام السندي بهامش سنن النسائي (٧/ ٧٤-٧٥)

(٧) اخرجه النسائي: في سننه : كتاب عشرة النساء: باب الغيرة (٧/ ٧٣-٧٥).

بل كانت الغيرة أحياناً تثيرها وتهيج مشاعرها، لمجرد الذكرى الحسنة لضرة لم تجتمع معها تريد أن تستأثر بحبه ومشاعره كلها، حتى عن ذكرياته الماضيات، تقول بنفسها: (ما غرْتُ على امرأة للنبي «صلى الله عليه وسلم»، ماغرّتُ على خديجة، هَلَكَتْ قبلَ أن يتزوجني، لما كنتُ أسْمَعُهُ يذكرها وأمره الله أَن يبشرها ببيت من قَصَبٍ[1] وإن كان ليَذْبحُ الشاة فيهدي في خلائلها[2] ما يَسَعُهُن)[3].

كانت تحاول أن تقلل من شأن خديجة لتنتزع حبها من قلبه «صلى الله عليه وسلم»، ولتحاصر كثرة الثناء عليها، تقول -رضي الله عنها: (اسْتَأْذَنَتْ هالةُ بنتُ خُوَيْلد أخت خديجة على رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فعرف استئذان خديجة[4] فارتاح لذلك، فقال اللهم هالة، قالت: فغرتُ فقلت ما تذكرُ من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين[5] هلكتْ في الدَّهرِ، قد أبدلك اللهُ خيراً منها)[6].

---

(١) اللؤلؤ المجوف الواسع كالقصر.
- انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني(٧/ ١٣٨)
- وشرح النووي على صحيح مسلم(١٥/ ٢٠٠)

(٢) جمع خليلة، أي صديقة، وهذا أيضاً من أسباب الغيرة لما فيه من الإشعار باستمرار حبه لها حتى كان يتعاهد صواحباتها.
- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني (٧/ ١٣٦).
- وشرح النووي على صحيح مسلم(١٥/ ٢٠١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار: باب تزويج النبي «صلى الله عليه وسلم» خديجة وفضلها رضي الله عنها(٥/ ٤٧-٤٨).
- وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم: باب فضائل خديجة (١٥/ ٢٠٠-٢٠١).

(٤) أي صفته، لشبه صوتها بصوت أختها، فتذكر خديجة بذلك.

(٥) معناه عجوز كبيرة جداً حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان إنما بقي فيه حمرة لثاتها.
- انظر شرح النووي على صحيح مسلم/ ١٥/ ٢٠٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار: باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم، خديجة وفضلها رضي الله عنها (٥/ ٤٨، ٤٩).

وأخرج الإمام أحمد(١) (فقال: «صلى الله عليه وسلم»: ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء).

بل كانت غيرة عائشة تخرج تصرفاتها عن الحد الأعلى من الوقار المطلوب من القدوة أم المؤمنين.

يحدثنا أنس بن مالك خادم رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فيقول: (إن النبي «صلى الله عليه وسلم» كان عند بعض نسائه(٢) فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين (٣) مع خادم بقصعة (٤) فيها طعام فضربت بيدها فكسرت القصعة فضمها وجعل فيها الطعام وقال كلوا وحبس الرسول القصعة حتى فرغوا فدفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة)(٥).

- وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- باب فضائل خديجة (١٥/ ٢٠٢) وأحمد في المسند(٦/ ١١٧ -١١٨).

(١) في المسند (٦/ ١١٨).

(٢) صرحت بعض الروايات أنها عائشة.

(٣) المرسلة هي: زينب بنت جحش.

(٤) القصعة: إناء من خشب.
- انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني (٥/ ٤٢٠-٤٢١).

(٥) رواه البخاري في صحيحه في المظالم والغصب: باب إذا كسر قصعة أو شيئاً لغيره(٣/ ١٧٩) واللفظ له.
- ورواه الترمذي في سننه: أبواب الأحكام (٢٣) باب ما جاء فيمن يكسر له الشيء، ما يحكم له من مال الكاسر، ج٢ رقم الحديث ١٣٧٠ ، ص٤٠٦ بلفظ (عن أنس قال أهدت بعض أزواج النبي «صلى الله عليه وسلم» إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» طعاماً في قصعة. فضربت عائشة القصعة بيدها فألقت ما فيها: فقال النبي «صلى الله عليه وسلم» : طعامٌ بطعامٍ، وإناءٌ بإناءٍ) وقال حديث حسن صحيح.
- ورواه النسائي في سننه : كتاب عشرة النساء/ باب الغيرة/ ٧/ ٧٠

وفي بعض الروايات: (كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» مع أصحابه في بيت عائشة، وفي يومها، فأخذت تعدّ لهم طعاماً فسبقتها إحدى أمهات المؤمنين بإعداد الطعام، وأرسلته مع خادم إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في بيت عائشة، وقد كانت مشهورة بجودة طعامها فثارت عائشة رضي الله عنها فتقدمت إلى الخادم، فخطفت القصعة من يده فضربتها بحجر كان في يدها ثم ألقت بها على الأرض وتناثر الطعام على المائدة وكان حيساً متخذاً من تمر واقط وسمن ودقيق أو فتيت، ورأى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الدهشة في وجوه أصحابه، فأخذ -بكل هدوء- يضم أجزاء القصعة التي تكسرت وأخذ يجمع فيها الطعام الذي انتثر، وهو يقول لأصحابه: غارت أمكم عائشة، غارت أمكم. ثم قام فأحضر قصعة عائشة السليمة، ودفعها للخادم، وقال: قصعة بقصعة، وإناء مثل إناء)⁽¹⁾

٤ - غيرة الأزواج في الميزان:

اشتهر العرب بالغيرة والحمية والأنفة في الجاهلية فلما جاء الإسلام هذبها كغيرها من الطبائع البشرية، فجعل منها ما يحب الله، وجعل منها ما يبغض الله، فما كان منها مشروع الدوافع، محمود الآثار، أحبه الله، وما كان منها محرم الدوافع، أو محرم الأغراض والآثار أبغضه الله، وهذا هو المقياس الشرعي الذي تقاس به الأمور، والميزان الإسلامي الذي توزن به كل حالة من حالات الغيرة المختلفة، وهي في أصلها غير مكتسبة، بل أصلها مخلوق في طبيعة البشر، وتختلف فقط بحسب درجتها فيهم، فبعضهم يغلب عليه البرود والتبلد وعدم الاكتراث، حتى أمام أخطر الأمور، وأعظم انتهاك للأعراض، وبعضهم يغلب

---

(١) انظر: عمدة القاريء شرح صحيح البخاري: محمود بن أحمد العيني(١٣/ ٣٦-٣٨).

- عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري، صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري (٤/ ١٣٥).
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري لابن حجر العسقلاني (٥/ ١٢٤-١٢٥).

عليه الحمية وسرعة الانفعال والغضب، وسرعة النزوع والحركة لأتفه الأسباب، وهذا وذاك بعيد عن تعاليم الإسلام هذا إفراط، وذاك تفريط، وكل منهما في حاجة إلى علاج وتهذيب، ليتفق مع مقاييس الإسلام وموازينه التي ذكرناها.

(فالغيرة في الحياة الزوجية كالملح للطعام، عدمه أو قلته مقزز، يبعث على القيء والامتعاض، وكثرته مفسدة مهلكة، وهو ضروري لا غنى عنه.

ومشكلة الحياة الزوجية عدم الانضباط في الغيرة، وانحرافها مرة نحو الإفراط ومرة نحو التفريط، فالزوج قد تصل به الغيرة على زوجته إلى الغيرة عليها من أقرب محارمها، أو من خاطب سابق لها قد مات، وينمو هذا التخيل، فيتحول إلى شك، وقد ينمو هذا الشك، فيتحول إلى ظن راجح، فينزع إلى أساليب في معاملة الزوجة لا تليق بإنسان عاقل متحضر، يغلق الأبواب والنوافذ، ويمنع الخروج، ويراقب الهاتف (التليفون) ويتشكك في نظرات الناس إليها، وفي نظراتها إلى الناس.

والزوج قد يصل به عدم الغيرة إلى أن يطلب من زوجته الجلوس إلى الأجانب من أصدقائه، أو الخروج إلى المجتمعات واختلاط الرجال بالنساء في أماكن التجمع الهابط، وإلى الرقص مع الرجال الأجانب في حضرته وغيابه»(١).

ويقول الإمام الغزالي(٢): «الناس في قوة الغضب - الناشئة عن الغيرة وغيرها - عند ثورانها تتجه إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها، وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها، والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها، وفيه لذتها، ولا تسكن إلا به، ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث: التفريط، والإفراط، والاعتدال.

أما التفريط: فبفقد هذه القوة أو ضعفها، وذلك مذموم، وهو الذي يقال

---

(١) دور المرأة في الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة- للدكتور موسى شاهين لاشين، ص١١٢، بحث نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بليبيا سنة١٩٧٥م.

(٢) إحياء علوم الدين(٣/ ٢٤٧ -٢٥٠) بتصرف.

فيه: إنه لا حمية له. وعنه أثر عن الشافعي قوله: «من استغضب، فلم يغضب فهو حمار» أي بليد الطبع، فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلاً، فهو ناقص جداً، وقد وصف الله أصحاب النبي «صلى الله عليه وسلم» بالشدة والحمية فقال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(١). والغلظة والشدة من آثار قوة الحمية.

وأما الإفراط: فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطر، وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتياديه، فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب، حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان، وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوماً يتبجحون بتشفّي الغيظ وطاعة الغضب، ويسمون ذلك شجاعة ورجولة. وهذا جهل بل مرض قلب، ونقصان عقل، فالمريض أسرع غضباً من الصحيح، والمرأة أسرع غضباً من الرجل، والطفل أسرع غضباً من المرأة.

وأما أثر هذه القوة في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل، ويستحي منه قائله عند فتور غضبه.

وأما أثرها على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن، من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه، أو فاته الانتقام بسبب عجز عن التشفي، رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه، أو لطم نفسه، وربما سقط صريعاً، وربما يضرب الجمادات، ويكسر السليم، ويضرب رأسه في الحائط، أو ينفجر في البكاء.

وأما أثرها في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والاستهزاء وغيره من القبائح.

---

(١) سورة الفتح، رقمها ٤٨: الآية ٢٩

وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء، وصغر النفس، وهو مذموم، بل يوصف بالخنوثة، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها، وضعت الصيانة في نسائها.

قال الشاعر⁽¹⁾:

وَوَضْعُ النَّدى في مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلا مُضرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدى⁽٢⁾

فالمحمود غيرة وغضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية، وينطفيء حيث يحسن الحلم.

فمن مال غضبه إلى الفتور، حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة، وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله، فينبغي أن يعالج نفسه، حتى يقوى غضبه، ومن مال غضبه إلى الإفراط، حتى جرّه إلى التهور واقتحام الفواحش، فينبغي أن يعالج نفسه، لينقص من ثورة الغضب، ويقف على الوسط بين الطرفين).

٥ - غيرة الضرائر في الميزان:

من المسلمات أن المرأة سريعة الانفعال وأن عواطفها تسبق عقلها، وأن الغيرة في طبيعتها وطبعها. فعن ابن مسعود - عن النبي «صلى الله عليه وسلم»، قال:

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي: ج١: قافية الدال رقم٦٠: رقم البيت ٣٠: ص٢٨٨، ط٢.

(٢) المعنى: كل يجازي ويُعامل على استحقاقه. فمستحق العطاء لم يستعمل معه السيف ومن استحق السيف لم يكرم بالعطاء.
- شرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان - بهامش ديوان المتنبي.

(إن الله تبارك وتعالى كتب الغيرة على النساء، والجهاد على الرجال، فمن صبر منهن، كان له أجر شهيد)(١).

وأخرج عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢) وأبو يعلى (٣) بسند لا بأس به عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: (إِنَّ الغَيْرى لا تُبْصِرُ أسفلَ الوادي من أعلاهُ).

قال العلماء: أصل الغيرة غير مكتسب للنساء لكن إذا أفرطت في ذلك بقدر زائد عليه تلام وتؤاخذ، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي «صلى الله عليه وسلم»، قال: لا يحلُّ لامرأة تسأل طلاق أختها، لتستفرغَ صَحْفَتَها، فإنما لها ماقدر لها)(٤) فلا تعفى الغيراء من المؤاخذة واللوم، بل من الحسابَ، لو أنها استخدمت أسلوباً محرماً لتحقيق أهدافها، أو كانت نتيجة غيرتها أمراً محرماً، فسؤالها طلاق امرأة أخرى لتحل محلها، (أو سؤالها زوجها تطليق ضرتها، لتنفرد هي به أمر لا يجوز عند الحنفية هذا شرط باطل

---

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: للهيثمي: كتاب النكاح- باب فيمن صبر من النساء على الغيرةج٢-رقم الحديث ١٤٩٥، ص١٩١، ط ١.
- وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب النكاح- باب غيرة النساء ج٤: ص٣٢٠-ط٣- وقال: رواه البزار والطبراني، وفيه عبيد بن الصباح ضعفه أبو حاتم ووثقه البزار، وبقية رجاله ثقات.
- الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدي الجرجاني: ج٦: ص٢١٠٢: ط٢.

(٢) في مصنفه: باب الغيرةج٧: رقم الحديث ١٣٢٦٣: ص٣٠٠ بلفظ: (إن الغيران ما يدري أين أعلى الوادي من أسفله).

(٣) في مسنده: ج٨ رقم٣١٤ -(٤٦٧٠)- ص١٣٠، مسند السيدة عائشة رضي الله عنها، رجاله ثقات غير أن ابن اسحاق قد عنعن وهو موصوف بالتدليس.
- وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب النكاح، باب غيرة النساء(٤/ ٣٢٢) وقال: رواه أبويعلى وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس وسلمة بن الفضل وقد وثقه جماعة ابن معين وابن حبان وأبوحاتم وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح: باب الشروط التي لا تحل في النكاح (٧/ ٢٦).

وفاسد، وعند الحنابلة لا يصح لنهي الشرع عنه)[١]

بل الجمهور على أنه يحرم ، ولو كان الدافع لذلك غيرتها. بل لاينبغي أن تدفعها غيرتها إلى الكذب ، مهما كانت صورته أخرج البخاري[٢] (عن أسماء أن امرأة قالت: يارسول الله، إن لي ضَرَّةً، فهل عليَّ جناحٌ إن تشبعتُ من زوجي غير الذي يعطيني فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: المُتشبِّع بما لم يُعط كلابس ثَوْبَيْ زور). (أي: المتزين بما ليس عنده المستكثر بذلك، يتزين بالباطل، كالمرأة تكون عندَ الرجل، ولها ضرة، فتدعي أن لها من الحظوة عند زوجها، أكثر مما لها عنده، وتريد بذلك غيظ ضرتها، فاعلة ذلك من الكاذبين المزورين.[٣])

وغيرة عائشة -رضي الله عنها- لم تصل أبداً إلى هذا الحد، في أية حادثة من الحوادث، فقصة العسل لم تقصد عائشة ولا صويحباتها منعه «صلى الله عليه وسلم» من شرب العسل، وإنما كان الهدف منعه من الاحتباس عند صاحبة العسل، وطول الجلوس عندها مباح له، والمباح ماستوى طرفاه، الفعل والترك، وقد قصد «صلى الله عليه وسلم» جانب الفعل، وقصدن جانب الترك، فكان قصدهن مباحاً، بل كان قصدهن أقرب إلى العدل في نظرهن، وكل ما يؤخذ عليهن أنهن لم يؤثرن حب الرسول «صلى الله عليه وسلم» للمباح، واختيار رائحة المغافير على سبيل الاحتمال ليس كذباً، لأنهن أوردنه على طريق الاستفهام[٤] ونزول القرآن بشأنها، وعتابه الشديد لهن، إنما كان بالنسبة لمقامهن العالي رضي الله عنهن.

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبه الزحيلي(٧/ ٥٤ ، ٥٩) ط٣.

(٢) في صحيحه - كتاب النكاح - باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضَرَّة - (٧/ ٤٤ -٤٥).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - لابن حجر العسقلاني- كتاب النكاح - باب رقم ١٠٦ ج٩ ص٣١٧ - ٣١٨.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري -لابن حجر العسقلاني-كتاب الطلاق- ٨ - باب لم تحرم ما أحل الله لك (٩/ ٣٧٦ ، ٣٧٧) بتصرف.

وقد يتساءل المرء: إذا كانت عائشة قد استولت على قلب الرسول «صلى الله عليه وسلم»، وحبه، فلم كثرت الغيرة منها؟ ألم يكن الأولى أن تكثر الغيرة من صويحباتها، بسبب حظوتها؟ ألم تكن الأخريات عليمات بهذه الحظوة؟

لاشك أنهن كن عليمات حق العلم، فلم تكن عائشة تخفي حظوتها، ولم يكن الرسول «صلى الله عليه وسلم» يخفي حبه لها، بل كان يقول: (اللهم هذا قَسْمي فيما أملكُ فلا تَلُمني فيما تَملكُ(1) ولا أملكُ)(2).

بل هناك من الأحداث ما يؤكد هذا (عن عائشة قالت: كانت عندنا أم سلمة فجاء النبي «صلى الله عليه وسلم» عند جنح الليل قالت فذكرت شيئاً صنعه بيده وجعل لا يفطن لأم سلمة قالت وجعلت تومىء إليه حتى فطن قال لأم سلمة أهكذا الآن...)(3)

كما روى أن عبدالله بن عمر أرسل إلى أم سلمة يسألها: هل كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقبل وهو صائم فقالت: لا. قال: إن عائشة تخبر الناس أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كان يقبل وهو صائم. قالت: لعله إياها كان

---

(1) هي المحبة بالقلب. تعليق محمد فؤاد عبدالباقي بهامش سنن ابن ماجه (١/ ٦٣٤).

(2) أخرجه أبوداود في سننه: كتاب النكاح: باب في القسم بين النساء ج٢: رقم الحديث ٢١٣٤- ص٢٤٩) (عن عائشة).
- وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب النكاح - (٤٧): باب القسمة بين النساء ج١: رقم الحديث ١٩٧١ - ص ٦٣٤ .
- و أخرجه الدارمي في سننه: كتاب النكاح: باب رقم ٢٥ في القسمة بين النساء ج٢ رقم٢١٢٧- ص٥٨٢.
- وأخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٤٤) بلفظ : (اللهم هذا فعلي...)
- انظر تفسير القرطبي (٥/ ٤٠٧).

(3) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب النكاح - باب غيرة النساء (٤/ ٣٢١).
- وقال : رواه أحمد وفيه علي بن زيد وفيه ضعف وحديثه حسن.

لايتمالك عنها حباً، أما إياي فلا)(١).

ولاشك أنهن كن يغرن من هذا الحب، ولا شك أن محاولات ومنافسات منهن حصلت، ولكنها انتهت بالاستسلام. [فالسيدة سودة كانت مسنة، أعدت نفسها منذ اللحظة الأولى لخدمته «صلى الله عليه وسلم»، وكل هدفها الاقتصار على شرف الزوجية فأحبت عائشة، واتبعت إشاراتها، واستجابت لجميع مطالبها، حتى تنازلت لها عن ليلتها من رسول الله «صلى الله عليه وسلم»](٢)

وأما حفصة بنت عمر، فإنها وإن كانت تعتز بأبيها، لكنها كانت تعلم حق العلم أن منزلة أبيها بعد منزلة أبي بكر، وهي عاقلة، مارست الحياة، وأدركت أن المنافسة خاسرة فآثرت المسالمة، والانضمام إلى حزب عائشة، والانطواء تحت رايتها ومصادقتها، ولم يكن يفصل بين بيتيهما إلا جدار واحد رقيق، فكانت إحداهما تدق الجدار للأخرى، فتتحادثان. لكنها على كل حال لم تكن تحظى بنصيب كبير في قلب النبي «صلى الله عليه وسلم»، حتى قال لها أبوها يوماً ما: والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك ولولا أنا لطلقك)(٣).

وأما السيدة زينب بنت خزيمة التي دخل بها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد حفصة ببضعة أشهر، فقد ماتت بعد زواجها بثمانية أشهر، وما اهتمت بها في حياتها عائشة ولا حفصة.(٤)

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٩٦، ٣١٧).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٥٣، ١٦٩)،
- انظر: مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد: كتاب النكاح-باب القسم (٤/ ٣٢٣)، وفيه رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الطلاق: باب بيان أن تخييره امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (١٠/ ٨٢).
- وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني: كتاب النكاح باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها (٩/ ٢٧٩، ٢٨٣) بتصرف.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى: لابن سعد (٨/ ١١٥).

وأما السيدة أم سلمة التي دخلت في بيت السيدة زينب بنت خزيمة بعد وفاتها ببضعة أشهر، فقد كانت مسنة، ذات عيال، كل ما حرصت عليه بين الضرائر أن تحتفظ بكبريائها وكرامتها، فكانت في حزب زينب بنت جحش، ابنة عمته «صلى الله عليه وسلم» وكانت لها شخصيتها واعتزازها بقرابتها، وشبابها وجمالها، لكنها على الرغم من المحاولات لم تفلح في التقليل من حظوة عائشة[1].

وأما جويرية وصفية فعلى الرغم من جمالهما وشبابهما، فربما لم تنسيا أنهما كانتا يهوديتين، وأنهما كانتا سبيتين[2] فاكتفت كل منهما برداء الزوجية، وسالمتا عائشة، بل استسلمتا لها، لدرجة أن صفية في ذات يوم غضب منها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في شيء، (فقالت صفية: ياعائشة: هل لك أن ترضي رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عني، ولك يومي. قالت: نعم. فأخذت خماراً لها مصبوغاً بزعفران، فرشته بالماء ليفوح ريحه، ثم قعدت إلى جنب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «ياعائشة إليك عني[3]. إنه ليس يومك». فقالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فأخبرته بالأمر، فرضي عنها)[4]

وكانت نهاية الاستسلام أن تمرض مرض الوفاة في بيت عائشة وفاضت روحه الطاهرة وهو على صدرها،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٩٠-٩٢).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢١)

(٣) اي تنحّي عني وتبعّدي.
- تعليق محمد فؤاد عبدالباقي بهامش سنن ابن ماجه (١/ ٦٣٤).

(٤) اخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب النكاح(٤٨) باب المرأة تهب يومها لصاحبتها- ج١-رقم الحديث ١٩٧٣- ص٦٣٤ (عن صفية بنت حي).
- وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - كتاب النكاح : باب غيرة النساء - (٤/ ٣٢١)- رواه احمد وفيه سميه البصرية روى لها أبوداود وغيره ولم يضعفها أحد ، وبقية رجاله ثقات.

أخرج البخاري⁽¹⁾ (عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريدُ يوم عائشة فأذنَ لهُ أزواجه يكون حيثُ شاء، فكان في بيت عائشة، حتى مات عندها، قالت عائشة : فمات في اليوم الذي كان يدورُ عليَّ فيه في بيتي، فَقَبَضهُ اللهُ، وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي).

وفي رواية: (فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة)⁽²⁾.

تلك حال أمهات المؤمنين في مغايرة عائشة، أما عائشة فعلى الرغم من كل ما حصلت عليه كانت تطمع في المزيد، بدافع الغريزة البشرية.

(قال العلماء : إن عائشة اجتمع فيها الغيرة والصغر، والإدلال، والغيرة مسامح للنساء ما يقع فيها، ولا عقوبة عليهن في تلك الحالة، لما جبلن عليه منها، ولهذا لم يزجر النبي «صلى الله عليه وسلم» عائشة على ما وقع منها، ولم يؤاخذها، بل صفح عما كان لا يليق بمقامها)⁽³⁾.

---

(1) في صحيحه: كتاب النكاح - باب إذا استأذن الرجل نساءه في أن يُمرض في بيت بعضهن فأذن له(٧/ ٤٤).
- في صحيحه - باب كتاب النبي «صلى الله عليه وسلم» إلى كسرى وقيصر: باب مرض النبي «صلى الله عليه وسلم» ووفاته -(٦/١٦) ، وقول الله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾(الزمر: رقمها٣٩: الآية٣٠, ٣١.

(2) اخرجه البخاري في صحيحه: باب مرض النبي «صلى الله عليه وسلم» ووفاته (٦/ ١٦-١٧).

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني: كتاب النكاح ١٠٧- باب الغيرة (٩/ ٣٢٥).

٦- الغيرة بين الأقران(١) :

والمقصود بالأقران في هذا البحث من يجمع بينهم سبب وصلة .

يقول الإمام الغزالي(٢) : «يكثر التغاير والحقد بين قوم تكثر بينهم الأسباب ، وتجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ، ويتواردون على أغراض متشابهة فالمتجاوران في مسكن ، والمتزاحمان في سوق ، والمجتمعان في العمل بمدرسة أو مصنع ، تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما ، فيثور بينهما - غالباً- التناقض والتنافر والتباغض والتنافس والتغاير .

ترى العالم يحسد العالم دون العابد ، والعابد يحسد العابد دون العالم ، والتاجر يحسد التاجر دون العالم ، أو العابد ، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب ، والشجاع يحسد الشجاع ، ولا يحسد العالم أو العابد ، لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها ، وهكذا فأصل المغايرات التزاحم على غرض واحد ، والغرض الواحد لا يجمع بين متباعدين ، بل بين متناسبين ، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا ، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين » في تصورهم .

ونكرر القول بأن الغيرة تنشأ من الأنانية وحب الذات ، وهي تتناول الكثير من البشر في معاملاتهم مع الآخرين ، وفي القرآن الكريم أمثلة للغيرة ، بعضها أوقع أصحابها في الهلاك ، لأنها كانت في الشر ، وبعضها سلمت عاقبتها لأنها كانت تهدف إلى خير .

أ - خذ مثلاً غيرة إبليس من آدم ، علم الله آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم

---

(١) الأقران جمع قرين ، فعيل بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول. يقال: قرن الشيء بالشيء بفتح الراء يقرنه به ، بكسر الراء وضمها قرانا جمعهما ، فالقرين: الصاحب.
- المعجم الوسيط (٢/ ٧٣٠ -٧٣١) ط٢ .

(٢) في إحياء علوم الدين (٣/ ٢٨٤ -٢٨٥) بتصرف .

على الملائكة، فعجزوا، فقال: ﴿يَاآدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِم﴾(١) أمروا أن يسجدوا لآدم، فغار إبليس من آدم وحَسده، وتعالى عليه، وأبى أنْ يسجد له، واستكبر، عناداً وإعجاباً.

قال الألوسي(٢): «ولم يدر المسكين أنه لو امتثل ارتفع قدره، وسما بين الملأ الأسمى فخره، ولكن:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده(٣)

وكم أرّقت هذه القصة جفوناً، وأراقت من العيون عيوناً، فإن إبليس كان مدة في دلال طاعته، يختال في رداء مرافقته ثم صار إلى ما ترى، وجرى ما به القلم جرى.

وكُنَّا وليلى في صعودٍ من الهوى فلما توافينا ثَبَتُّ وزلَّتِ(٤)»

﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾(٥) ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(٦) غيرة وحقد وحسد، أودى بصاحبه إلى الطرد والإبعاد من رحمة الله.

ب - وخذ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا

---

(١) سورة البقرة: رقمها ٢: الآية ٣٣

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/ ٢٣١)

(٣) لم أقف على قائله.

(٤) انظر: ديوان كثير عَزَّة: قافية التاء ص٧٩ ط١.
ورواية الديوان:
وكنا سلكنا في صُعودٍ من الهوى .. فلما توافينا ثَبَتُّ وَزلَّتِ

(٥) سورة الإسراء: رقمها ١٧: الآية ٦١.

(٦) سورة الأعراف: رقمها٧: الآية ١٢.
- وسورة (ص) رقمها ٣٨: الآية ٧٦.

وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾(١).

قال جماعة من المفسرين، منهم ابن مسعود رضي الله عنه: «سبب هذا القربان أن حواء عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكراً و انثى، وكان آدم يزوج الذكر من هذا البطن الانثى من البطن الآخر، ولا تحل له أخته التوءم، فولدت مع قابيل أختاً جميلة، ومع هابيل أختاً ليست كذلك، فلما أراد آدم تزويجهما غار قابيل من هابيل، وأراد أن يستأثر بأخته الجميلة، توأمته، وقال أنا أحق بأختي، فأمره آدم، فلم يأتمر، وزجره، فلم ينزجر، فاتفقوا على أن يقرب كل منهما قرباناً. قيل: قرب قابيل حُزمة من سُنْبل، وكان صاحب زرع، واختارها من أردأ زرعه، ثم إنه وجد فيها سنبلة طيِّبة، ففركها وأكلها، وقرب هابيل كبشاً، وكان صاحب غنم، أخذه من أجود غنمه، فلما تقبل قربان هابيل قال له قابيل غيرةً وحسداً: أتمشي على الأرض يراك الناس أفضل مني لأقتلنك»(٢) فكانت غيرة فحسداً فحقداً فقتله.

ج - وخذ قوله تعالى: ﴿إِذ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ* قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُءيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ* وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ* لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ* إِذ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ* اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ* قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ* قَالُوا يَاأَبَانَا مَالَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ

---

(١) سورة المائدة: رقمها ٥ : الآيات من ٢٧ - ٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦/ ١٣٣، ١٣٤)

لَنَاصِحُونَ* أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ* قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ* قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ* فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ* وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ* قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ* وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾(١) وكان ما كان من أمر يوسف وإخوته أبناء النبي يعقوب عليه السلام، غيرةَ من حب الأب له أكثر منهم، أدت إلى حقد على أخيهم وأبيهم، ثم إلى التخلص من أخيهم ليستأثروا بحب أبيهم(٢).

د - وخذ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٣)

هـ - أما غيرة رؤساء الكفر من نزول القرآن على محمد «صلى الله عليه وسلم»، وتمنيهم أن لو كان نزل على رجل من القريتين عظيم. ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ* أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٤)

أما غيرة أهل الكتاب التي ترتب عليها حقدهم وحسدهم، وعدم إيمانهم فقد عبر عنها القرآن الكريم تعبيرات مختلفة، اقرأ معي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ

---

(١) سورة يوسف : رقمها ١٢ : الآيات من ٤ - ١٨.

(٢) تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي (١١٨/١٠) ط١.

(٣) سورة البقرة: رقمها ٢: الآية ٢٤٧.

(٤) سورة الزخرف: رقمها ٤٣: الآية ٣١ ، ٣٢.

لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٣)

وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٥).

٧ - الغيرة في الخير:

وإذا كانت الغيرة في كثير من أحوالها تدعو إلى إلحاق الشر بالغير، والاستئثار بالخير، وزواله عمن يغار منه، مما ينتج عنه الحقد والحسد فإنها في بعض الأحيان تدفع فقط إلى تمني الحصول على مثل ما عند الغير من أمور الدنيا، والعمل على المنافسة للوصول إلى مثله أو الزيادة عليه، دون أن تولد في الداخل حقداً وحسداً، فإذا هي وصلت شكرت وحمدت، وإذا هي لم تصل قنعت ورضيت، ويتمل هذا النوع في قصتين حكاهما القرآن الكريم:

الأولى: قصة قارون ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ

---

(١) سورة النساء: رقمها٤: الآيات ٥٢ -٥٤.

(٢) سورة البقرة: رقمها ٢ : الآية ٩٠.

(٣) سورة البقرة: رقمها ٢ : الآية ١٠٥.

(٤) سورة البقرة : رقمها ٢ : الآية ١٠٩.

(٥) سورة البقرة : رقمها ٢ : الآية١٤٦.

الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِي قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . . . . ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾(١)

الثانية: «كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان، فلما وَرَّثوا وجُعل للذكر مثل حظ الأنثيين تمنى النساء أن لو جُعل أنصباؤهن كأنصباء الرجال، (غيرة منهم)، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٢)

قال العلماء: الجمهور على أن للرجل أن يتمنى أن يكون له حال صاحبه الدنيوي، ما لم يتمن زوال ما عند صاحبه وهذا من قبيل الغبطة لا الحسد، والغبطة في أحوال الدنيا غير مذمومة ما كان السبيل إليها مشروعاً»(٣)

والغبطة هنا هي التطلع لما عند الغير، والغيرة والتمني والسعي إلى مثله.

أما الغبطة في أمور الآخرة فحسنة محمودة، بل مستحبة، مندوب إليها، أخرج البخاري(٤). (عن أبي هريرة أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، قال: لا حسد إلا في اثنتين، رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل).

أي لا يحسن الحسد، ولا يستحب التنافس إلا في عمل الخيرات، وعلى

---

(١) سورة القصص: رقمها ٢٨: الآيات ٧٩ - ٨٢.

(٢) سورة النساء: رقمها ٤: الآية ٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي (٥/ ١٦٢، ١٦٣)

(٤) في صحيحه: كتاب فضائل القرآن- باب اغتباط صاحب القرآن (٦/ ٢٣٦)

رأسها حفظ القرآن والعمل به، والإنفاق في سبيل الله، ففيهما وفي أمثالهما فليتنافس المتنافسون.

وحينما غار الفقراء من الأغنياء، وتمنوا بديلاً لخيراتهم عليهم شكوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ففي الحديث: (عن أبي ذر قال قلت يارسول الله ذهب الأغنياء بالأجر يصلون ويصومون ويحجون قال: وأنتم تصلون، وتصومون، وتحجون قلت: يتصدقون ولا نتصدق، قال وأنت فيك صدقة، رفعك العظم عن الطريق صدقة، وهدايتك الطريق صدقة، وعونك الضعيف بفضل قوتك صدقة، وبيانك عن الأرتم(١) صدقة، ومباضعتك أمرأتك صدقة، قال: قلت يارسول الله نأتي شهوتنا ونؤجر قال: أرأيت لو جعلته في حرام أكان تأثم قال قلت نعم. قال: فتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير﴾(٢) وفي رواية أخرى: (عن أبي ذرّ أن ناساً من أصحاب النبي «صلى الله عليه وسلم» قالوا للنبي «صلى الله عليه وسلم» يارسول الله ذهبَ أهلُ الدُّثور بالأجور يُصلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال أوَلَيْسَ قد جعل الله لكم ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة ونهيٌ عن منكر صدقةٌ. وفي بضْع أحَدكُم صدقة، قالوا: يارسول الله أيأتي أحدُنا شهوتهُ ويكونُ لهُ فيها أجرٌ قال أرَأيتم لَو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر(٣).)

---

(١) الذي لا يُفصح الكلام ولا يُفهِمُه ولا يُبيِّنُهُ.
- انظر لسان العرب لابن منظور: (١٢/ ٢٢٥) مادة: «رتم».

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ١٥٤) بسند فيه تدليس الأعمش وقد عنعن، وفيه زيادة، وبيانك عن الأرتم صدقة» وقد انفرد بها.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الزكاة: باب: (بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٧/ ٩١-٩٢) واللفظ له.
- وأخرجه أبو داود في السنن: كتاب الصلاة: باب صلاة الضحى: (ج٢ / رقم ١٢٨٥/ ص٣٧). وكتاب الأدب: باب في إماطة الأذى عن الطريق: (ج٤- رقم٤٢٥٣/ ص٤٨٩-٤٩٠) ط٢.
- وأخرجه أحمد في المسند: (٥/ ١٦٨).

وعلم الأغنياء بهذه الفضائل، فغاروا، وتنافسوا فيها، فجاء الفقراء مرة أخرى يشكون، يقولون: رسول الله: (سَمعَ إخوانُنَا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ)(١).

أما بعد: فإن أهل الجنة في الجنة لا غيرة بينهم، فلهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾(٢)

لايتطلعون إلى من فوقهم، بل كل واحد منهم راض بما عنده، مسرور بما أعطي، فاكهته في نظره أحسن فاكهة، وزوجته في نظره أجملَ زوجه، ومسكنه في نظره خير مسكن. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ*﴾(٣).

** **

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب المساجد ومواضع الصلاة-باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته(٥/ ٩٢، ٩٣).

- والحديث: (عن أبي هريرة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقالوا: ذهب أهل الدُّثور بالدرجات العُلى، والنعيم المقيم، فقال: وماذاك قالوا يُصلّون كما نُصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدقُ، ويعتِقون ولا نَعْتِق، فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أفلا أعَلمُكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بَعْدَكم ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يارسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة قال أبو صالح فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، فقالوا .....).

(٢) سورة الأنبياء : رقمها ٢١: الآية ١٠٢.

(٣) سورة الحجر: رقمها١٥: الآيات من ٤٥-٤٧.

خاتمة البحث

وصفوة القول إن الغَيْرة غريزة أو متولدة من غريزة حب الذات وحب التملك وحب السيطرة وتولد مع الإنسان بدرجات مختلفة أعلى درجاتها غالباً ما يكون في البلاد الحارة، وأقل درجاتها غالباً ما يكون في المناطق الباردة وهي سلاح ذو حدين كأي غريزة تكون في أفراد البشر إن هي هذّبت ووجهت نحو الخير، ونُميّ فيها جانب الحَميّة الممدوحة انتجت خيراً، وكانت ممدوحة ديناً وعُرْفاً وعادة. وإن طغى فيها جانبَ الَغضب والعنف وانطلاق السيطرة وحب التملك والأنانية أنتجت شراً وكانت ذميمة ديناً وعُرْفاً وعادة.

وأهل الحرارة مطالبون بتخفيض درجتها، وأهل البرودة مطالبون برفع درجتها وهي في الرجال والنساء بدرجة لا تختلف غالباً بالذكورة والأنوثة ولا يستغني عنها مجتمع إنساني وإلا كان شبيهاً بعالم الحيوان فهي كالملح للطعام ولجسم الإنسان أساسيّ بقَدَرْ. ومهم بقدَرْ وصحي بقَدَرْ. ومفسدة إذا زاد أو نقص عما ينبغي ويليق. ،الحَكمُ في ذلكَ للديانات والشَرائع لأن العقل الإنساني لا يستقل بالحسن والقُبْح فما يراه فرد حسناً بالنسبة له يراه الآخر قبيحاً بالنسبة له وما هو نافع مفيد لمجتمع قد يكون مضراً مفسداً في مجتمع آخر.

والإنسان مدنيٌّ بطبعه واجتماعي بطبعه كل فرد في المجتمع لا يستغني عن بقية أفراده فهو كاليدين تغسل إحداهما الأخرى وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تأثر باقيه بشكواه.

من هنا وضعت الشرائع والديانات حدوداً وضوابط وقواعد وقوانين للتعامل بين الأفراد وبين الجماعات ولم تترك القواعد والقوانين لوضع الإنسان.

فهي ككل معاملة بين أفراد المجتمع لها ضوابط ولها قوانين وأكثر الشرائع والديانات عناية بها وتحديداً لقواعدها ومنعاً لأخطارها هي ديانة الإسلام وشريعة الإسلام.

وما قدّمناه من صور ونصوص في هذا الشأن كفيل برسم الطريق المستقيم الذي يحقق الخير للفرد والمجتمع، والله الهادي سواء السبيل.

***

مصادر ومراجع البحث

١ - إحياء علوم الدين : للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ - الطبعة المحققة الأولى١٤١٢هـ ١٩٩٢م-دار الهادي : بيروت - لبنان .

٢ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : للإمام الحافظ أبي العلى محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ١٢٨٣هـ -١٣٥٣هـ ضبطه وراجع أصوله وصححه : عبد الرحمن محمد عثمان - دار الفكر : الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٣ - تعليق محمد فؤاد عبدالباقي بهامش سنن ابن ماجه .

٤ - تفسير المراغي : تأليف الأستاذ الكبير أحمد مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الأولى : ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م .

٥ - الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الناشر : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة : ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م .

٦ - حاشية الإمام السندي بهامش سنن النسائي .

٧ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور : للإمام جلال الدين السيوطي . الناشر : دار المعرفة : بيروت - لبنان .

٨ - دور المرأة في الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة : للدكتور : موسى شاهين لاشين . بحث نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بليبيا سنة ١٩٧٥م .

٩ - ديوان أبي الطيِّب المتنبي- بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان . ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا . وإبراهيم الأبياري . وعبدالحفيظ شلبي . ملتزم الطبع والنشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الثانية : ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م .

١٠ - ديوان أبي نواس : دار صادر : بيروت .

١١ - ديوان كُثَيِّر عَزَّة : شرح : قدري مايو : دار الجيل : بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ . إدارة الطباعة المنيرية .

١٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها : محمد ناصر الدين الألباني : المكتبة الإسلامية : عمان الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

١٤- سنن أبي داود : الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ٢٠٢-٢٧٥هـ- مراجعة وضبط وتعليق : محمد محيي الدين عبدالحميد -دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١٥- سنن أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ٢٠٧-٢٧٥هـ حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبدالباقي. دار الفكر : بيروت.

١٦- سنن الترمذي : للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٢٠٩-٢٧٩. حققه وصححه : عبدالرحمن محمد عثمان. دار الفكر - بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

١٧- سنن الدارمي : الإمام الكبير أبومحمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي. حققه وشرح ألفاظه وعلق عليه ووضع فهارسه : الدكتور مصطفى ديب البغا، دار القلم : دمشق. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

١٨- السنن الكبرى : لإمام المحدثين الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي -المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. الطبعة الأولى : بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن -الهند- سنة ١٣٥٣هـ.

١٩- سنن النسائي : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي. دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.

٢٠- شرح النووي على صحيح مسلم.

٢١- شرح معاني الآثار : للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي المولود سنة ٢٢٩هـ والمتوفى سنة ٣٢١هـ - حققه وضبطه ونسقه وصححه : محمد زهري النجار. دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان- الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٢٢- صحيح البخاري : أبي عبدالله محمدبن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخاري الجعفي. دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان.

٢٣- صحيح مسلم بشرح النووي : المطبعة المصرية ومكتبتها تأسست عام ١٩٢٤م.

٢٤- الطبقات الكبرى : لابن سعد - دار صادر بيروت.

٢٥- عمدة القاريء شرح صحيح البخاري : للشيخ الإمام العلامة بدر الدين أبي

محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ دار الفكر، بيروت.

٢٦- عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري: صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري. مطابع قطر الوطنية- الدوحة - قطر- ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

٢٧- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري للإمام الحافظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣ -٨٥٢ قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي. أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٢٨- الفقه الإسلامي وأدلته: د. وهبة الزحيلي. دار الفكر: الطبعة الثالثة: ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٢٩- في ظلال القرآن: بقلم: سيد قطب. دار الشروق: القاهرة. وبيروت. الطبعة الشرعية العاشرة.

٣٠- الكامل في ضعفاء الرجال: للإمام الحافظ: أبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني ٢٧٧-٣٦٥هـ. تحقيق وضبط ومراجعة: لجنة من المختصين بإشراف الناشر دار الفكر-الطبعة الثانية منقحة: ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣١- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، تأليف: الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٧٣٥ -٨٠٧هـ، تحقيق: المحدث الكبير العلامة الشيخ: حبيب الرحمان الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٢ - لسان العرب المحيط: للعلامة ابن منظور، قدّم له العلامة الشيخ عبدالله العلايلي. أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط. دار الجيل - ودار لسان العرب- بيروت-١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نورالدين علي بن أبي بكرالهيثمي المتوفى سنة٨٠٧. بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. الطبعة الثالثة: ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي. تحقيق وتعليق: الرّحالي الفاروق. عبدالله بن إبراهيم الأنصاري. السيد عبدالعال السيد إبراهيم. محمد الشافعي صادق العناني. الطبعة الأولى:

الدوحة . محرم ١٣٩٨هـ ديسمبر ١٩٧٧م .

٣٥- مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي المتوفى سنة ٦٦٦هـ . الناشر : دار الكتب العربية - بيروت .

٣٦- مختصر تفسير ابن كثير : مختصر لتفسير الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ اختصار وتحقيق : محمد علي الصابوني . دار القرآن الكريم . بيروت . لبنان . الطبعة الرابعة منقحة ١٤٠١هـ .

٣٧- مسند أبي يعلي الموصلي : الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي : ٢١٠- ٣٠٧هـ . حققه وخرج أحاديثه : حسين سليم أسد . دار المأمون للتراث . دمشق وبيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . دار الفكر العربي .

٣٩- مشكلات الأبناء وعلاجها من الجنين - إلى المراهق : د . محمدعبدالظاهر الطيِّب - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية ١٩٨٩م .

٤٠- مشكلات الأطفال اليومية : للدكتور : دجلاس توم تقديم الدكتور إسحاق رمزي . دار المعارف -بمصر- الطبعة الخامسة : أكتوبر ١٩٥٣م .

٤١- المصنف : للحافظ الكبير أبي بكر عبدالرزاق بن همَّام الصنعاني ، ولد سنة ١٢٦ وتوفى سنة ٢١١ . عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه الشيخ المحدث : حبيب الرحمان الأعظمي ، المكتب الإسلامي : بيروت -لبنان . الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .

٤٢- المعجم الوسيط : قام بإخراج هذه الطبعة : الدكتور إبراهيم أنيس ، الدكتور عبدالحليم منتصر- عطية الصوالحي- محمد خلف الله أحمد وأشرف على الطبع : حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين الطبعة الثانية .